

عن الإصلاح والجمعة الدامية

> ركب موجة ثورة الشباب فاستحوذ على الساحات، وتحول إلى كيان سلطوي بوليسي قامع لكل الأصوات والكيانات الحزبية والشبابية الأخرى، وكل من يعترض على تصرفاته السلطوية داخل الساحات وخارجها، مستخدماً كافة الوسائل التي يمتلكها المال - القبيلة - العسكر، الإعلام حتى الدين الذي يعتبره ملكية من ملكياته..

محمد علي عناش

المئات من القتلى وآلاف الجرحى.. انقلابيو اليمن ساءهم أن يمضي شهر كامل من بداية الاعتصامات والاحتجاجات في فبراير ٢٠١١م دون أن يكون هناك دماء وأشلاء وجثث، سوى حالة أو حالتين في محافظة عدن، وعلاوة على ذلك كانت المفاجأة التي أفرزتهم في ١٠ مارس ٢٠١١م ومن ملعب مدينة الثورة حين أطلق الزعيم علي عبدالله صالح مبادرته الشهيرة، الأكثر إغراءً وموضعية، لأنها تضمنت أهم نقاط للإصلاح السياسي والوفاق الوطني، وبشهادة جميع المراقبين أنها كانت المدخل الحقيقي لإحداث إصلاحات جوهرية في المسارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بمعنى أنها كانت بمثابة ثورة تصحيح برادة وجهود كل الأطراف... المبادرة لم تكن مجرد كلام يحتاج إلى تفسير ولم تعلن من داخل غرف مغلقة، وإنما أذيعت ونقلت بشكل مباشر وعبر مختلف القنوات، وكانت محدودة النقاط والبنود..

- إقرار النظام البرلماني.
- إقرار نظام القائمة النسبية.
- إقرار نظام الأقاليم.
- تشكيل حكومة وحدة وطنية.

القوى الانقلابية لم تكن تتوقع إعلان هذه المبادرة التي وضعتهم في محك حقيقي هو في المقام الأول محك وطني يعكس توجهها في طمس الحقيقة..

ازمة اليمن تحولت الى وباء تم دفنه ومواراته بتسوية سياسية وثورة مضادة

على أثر هذا الحادث توالى الانضمامات إلى الساحات بدءاً من المنشق علي محسن الأحمر ونشر جنود الفرقة في كل الساحات بذريعة حمايتها، كما توالى الاستقالات من المؤتمر الشعبي العام ومن المناصب الحكومية وبشكل دراماتيكي عبّر عن سيناريو انقلابي كان جاهزاً ومعداً، تداعت فيه كل الأهواء والأمراض والمصالح الشخصية والشللية والمناطقية والقبلية والباحثين عن ادوار والهاربين من تاريخهم الفاسد، ومعظم هؤلاء خرجوا من معطف الإصلاح وحاضنته العسكرية والقبلية والدينية..

بيروى شهود عيان كانوا في الساحة أن معظم الإصابات كانت من الخلف، وأن القناصة كانوا يستهدفون الشباب من أسطح المنازل المحيطة والمجاورة للساحة، والسؤال: كيف دخل هؤلاء القناصة إلى تلك البنايات والمنازل وهناك حزام أممي من جنود الفرقة ومليشيات النظام، إذ استقال عدد من الوزراء وانضمت فئات اجتماعية فاعلة إلى حركة الاحتجاجات وانشق فصيل من الجيش اليمني، وضعف موقف النظام السياسي أمام المجتمع الدولي، وخرجت بعثات دبلوماسية من جادة الصواب لتقدم بلدها بصورة أكثر قبحاً وأكثر وحشية، وما يزال النظام حتى لحظة كتابة هذه الأسطر بريئاً وممثل هذا العدد أو أكثر من الجرحى؟

التقديرات المنطقية تقول إنهم يحتاجون إلى أكثر من سبع دقائق، فبالله كيف استمروا طوال هذه الفترة ينالون من فراسخهم؟ والساحة تعج بالجنود والمسلحين؛ ودون أن يتم تبادل لإطلاق النار معهم وإصابة أي منهم؛ وكيف تمكنوا بسهولة من الفرار بعد هذه المدة؟ ولماذا لم تتمكن كاميرا «سهيل» و«الجزيرة» و«البي بي سي» و«العربية» و«الحررة» وغيرها من تصوير المشهد؟

المسألة تحتاج إلى قراءة أكثر موضوعية ومنهجية، وتحتاج إلى صحوه ضمير من الداخل والساحات حتى لا تضع هدراً أرواح الشهداء وما يؤمهم الطاهرة..

نطالب بسرعة إعلان نتائج التحقيق ومعرفة الحقيقة التي ما يزال يلغها الغموض وتُنسج حولها الأساطير، وحتى لا تظل هذه القضية في مربع الاستمثار السياسي الرخيص ووسيلة للتصعيد والمناورة السياسية على تجاه هذه

هو التجمع اليمني للإصلاح، حزب الأشكال والإرباك في اليمن، وحزب التطرف والصراعات وإثارة الفتن منذ السبعينيات حتى اليوم، أي منذ أن جُذِّد حلياً واقليميا لمواجهة الجبهة الوطنية اليسارية في المناطق الوسطى ودمت وشرع، وإيضاً منذ أن جندته المخابرات الأمريكية كي يعمل على ترحيل وتفويض أكبر كم من الشباب اليمني للجهاد في أفغانستان ضد الروس، حتى يومنا هذا الذي يخوض فيه حرباً شعواء على الجميع، حتى الدولة يسعى إلى إسقاطها وتدمير بنيتها كي يصل إلى السلطة، كاستهدافه لأبراج الكهرباء واستهدافه للحرس الجمهوري..

من الأمس إلى اليوم رحلة اخوانية طويلة عمرها أكثر من ثلاثين سنة، هي رحلة شاققة ومرهقة، غير أنها من المؤكد ليست رحلة نضال وطني وتنموي وسلم اجتماعي، وإنما رحلة تطرف وارهاب فكري نفعية واستثمارات وغسيل أموال وأكثر من ألف معهد علمي ضخت سنويا عشرات الآلاف من الكوادر والاتّباع، وبدعم رسمي لولا فاق دعم وزارة التربية والتعليم. إذا رصيده النضالي بالمفهوم السياسي والوطني سالب جداً، مقابل رصيده الضخم من النفعية والبرامغانية، ومن غير المقيول أن يملأ الزنداني هذا الفراغ برصيد دعوي كما يروج له، من أجل المحافظة على الدين وأخلاق الناس لأننا شعب مسلم وموحد وحكيم وأدري بشؤون ديننا سواء في ظل وجود الإصلاح والزنداني أو بدونهما..

حتى الواقع السياسي الراهن بلامحه العشوائية والفوضوية، وبتجاهاته التي تتدخل فيها كل المكونات والأنساق الفكرية والثقافية بشكل مخل بالحياسة السياسية ومعيق للتحولات الديمقراطية والاجتماعية هو أفرز وتوجه اخواني جعل من القوى التقليدية والمتطرفة في صدارة اللحظة الثورية وقادتها الفعليين، بينما القوى اليسارية والليبرالية ليسوا إلا ديكورا لهذه اللحظة الثورية المدمرة وهذا الواقع السياسي المشوه، وماهم من يظن أن المسألة عفوية، بل توجه ممنهج لإرباك الحياة السياسية ووقف عجلة التطور السياسي والبناء الديمقراطي وتدمير ما تراكم في هذا الاتجاه..

الإصلاح هو التنظيم الذي حارب وكفّر الحزب الاشتراكي وأصدر فتاوى استباحة الجنوب، وهو التنظيم الذي أعلن عن علي عبدالله صالح مرشحاً له في الانتخابات الرئاسية في سبتمبر ٢٠٠٩م، وقال إن على المؤتمر الشعبي العام أن يبحث له عن مرشح، هو ذات التنظيم بعد أقل من عشر سنوات أصبح حليفاً للاشتركي؛ وذات التنظيم الذي أظهر أنه يحمل حقداً شخصياً لعلي عبدالله صالح تجاوز شعار الرحيل إلى الاشتراك في تنفيذ جريمة النهدين..

هو ذات التنظيم الذي ظل يزايد بالقضية الجنوبية واستثمرها سياسياً وانتهزها دون أن يقدم أدنى رؤية لحلها، هو ذات التنظيم من يصف الحراك الجنوبي حالياً بالحراك المسلح ويخوض حرب بشوارع مع الحراكيين، هو ذات التنظيم من يتراجع حالياً عن مشروع النظام البرلماني ونظام القائمة النسبية..

الواقع السياسي بهذا الشكل المعقد والمشوه والذي صارت فيه القاعدة تسقط مدناً ومحافظات بكاملها، وما زال هناك من يرى في القاعدة مجرد فزاعة ويلصقونها بقضايا النظام حسب وصفهم، لا قضية وطنية تهم الجميع، لا بد من إعادة قراءته وتقييمه، وتقييم التجربة السياسية والحزبية التي انتجت هذا الواقع السياسي الذي طفت عليه ثقافة الدجل والكيد السياسي لإثافة الحوار الوطني ونيل الاختلاف والخصومة.

في هذا الواقع السياسي الذي أتقن الاخوان تشكيله وتمييطه، غابت المصلحة العليا للوطن وظهرت الانتهازية الحزبية والشخصية، ظهر الأفراد النفعيون وجماعات المصالح وتوارت قوى التغيير خلف أوهاهم أو تحولوا إلى مجرد كمبراس في مشهد ثورة الوهم والتدليس والعمية، سُميت في لحظة غيبوبة أمة بثورات الربيع العربي، بينما هي بالفعل كما وصفها الرائع غسان بن جدو ليست إلا «جثة متعفنة تنتقل على راحلة قطرية» أزكمت أنوف فلاسفة التغيير والحرية في كل الأرجاء وأصابتهم بالغثيان حد التقفُّ، من هكذا ثورات وهكذا أحزاب وهكذا وعي وهكذا تحالفات، التي تجعل اليساري والليبرالي والقاعدي والأقطاعي في خندق واحد كي يسقطوا الحاكم فقط، فإن لم يتمكنوا ارتفعت أكثر معنوياتهم العدمية باتجاه إسقاط الدولة وإسقاط الأمن والاستقرار والسلام الاجتماعي..

في ربيع ثورة اليمن الذي تحلل كثيراً واستحال إلى وباء، فتم دفنه ومواراته بتسوية سياسية وثورة مضادة، هناك محطات خطيرة فيه لا بد أن نكتشفها ونعيد قراءتها من جديد، وأن نلصق شفراتها وطلاسمها التي ما يزال كنهة الثورة يشتغلون عليها، إنها جمعة مارس الدامية.. على عكس الأحداث في تونس ومصر التي إسقطت أنظمة الحكم فيها في أقل من شهر، عجل بهذا السقوط

كنا تحدثنا عن موضوع الالتباس في المفاهيم بين الأجيال وجدليته عند ساسة المرحلة الراهنة، والالتباس قضية شائكة لا ينتج عنها إلا ضيق الأفق، وضبابية الموقف وازدواجية النظرية والفعل، والوقوع في الوهم وهو القضية الأخطر لأنه يعمد إلى ملء الفراغات بقيم نقيضة تعمل على إخلال المنظومة القيمية وتفسد الثقافات ولا تتورع عن لي عناق النصوص المقدسة للقيام بأفعال التبرير.. وقد رأينا في واقعنا ما أنتجته فقه الواقع وما أنتجته فقه الثورات، وكيف تفاعل القرضاوي مع قضايا الموت وسفك الدم وكيف أباح استخدام المال المشبوه لتلك الغاية في سوريا، مع أن علة التحريم في مسألة الخروج على الحاكم في مرجعيات أهل السنة هي حرمة الدم المسلم الذي يراق،



عبدالرحمن مراد

جمعة الكرامة.. بين منطوق الثورة وجدلية الصراع

مواطن ويجيز في الأخرى ولكنه منظومة متكاملة البناء يلتقي بشكل شبه كلي مع مجموعة الموائيق والعهود الدولية لحقوق الإنسان، لذلك فموقفنا من سفك الدم ثابت وهو القول بحرمته وتجريم من يقدم عليه، وهو في الإسلام كأنما قتل الناس جميعاً، وبالتالي تأسيس على تلك القاعدة فنحن نستغرب كل الاستغراب موقف بعض أطراف العملية السياسية من ازهاق أرواح (١٨٣) جندياً في دوفس وموقفها من أعمال الفوضى والتخريب وازهاق الأرواح في آبين وقطع الأطراف والصلب وكان ما يحدث مبرر شرعاً في حين تكاد الدنيا برمتها تقف على رجل واحدة بشأن ما يحدث في «عاهم».. وبالقياس وفقاً للتقارير الإعلامية هناك ما يزيد عن مائة ألف نازح من آبين وفي المقابل هناك خمسة آلاف أسرة نازحة في عاهم، وهناك إمارة إسلامية تنتهك أدمية الإنسان في آبين وهناك حرب كرو وفر بين جماعات في عاهم كل جماعة فيها تعترف بالدولة المركزية وتوقع محاضر السلم والتعايش وتنتهك تلك الموائيق من قبل طرف ولا يسع الكفاف من الأخرى إلا المواجهة والصد كدفاع عن النفس وهو حق سواء لهذه الجماعة أو تلك، وما يمارس من ازدواج على مستوى الفعل والموقف في شلال الإحباط لا علاقة له بالتناقض بقدر اتصاله بالحرص على سفك الدم واتخاذ كطعية لإيقاظ رسائل مشبعة بالرموز والقرائن إلى المواجه الاقليمي واستمرار عطشه وأمواهه وتأكيد فاعلية بعض الرموز في الأمن الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي نجد الأمر على نقيص كلة الإيحاءات المتناثرة.

ما يحدث في عاهم ليس كما وصفه الفريق الإعلامي والحقوقي الذي زار المنطقة وأذاع تقاريره وانطباعاته وقد جانب في وصفه الحقيقة والعدل ونظر إلى القضية من زاوية واحدة ويعين واحدة وأغص الأخرى حتى لا ترى الحقيقة ذاتها، إذ ما يحدث له علاقة جوهرية لعبة التناقضات التي أتقنها اللواء المنشق على محسن في الشريط الحدودي، هناك كيانات اجتماعية لحقها من الضيم والإجحاف الشيء الكثير فتتألمت مع الحوثي انتصاراً لقيمتها ومعناها وكيانها، وسبق لنا التحذير من عواقب ذلك في أعداد متفرقة من صحيفة «الديار» في عام ٢٠١٠م.

ويمكننا من خلال التنضيد للمتنافر من الأحداث في اليمن بدءاً من جمعة الكرامة، وانتهاءً بما يحدث الآن في عموم اليمن القول إن ما يحدث له جذر واحد وإرادة فاعلة واحدة ولن تكون تلك الانتقائية في المواقف إلا تعبيراً عنه وولاًء له..

يقول الدكتور ياسين: (إن القوى التي تأخذ الثورة، أي ثورة، إلى طريق العنف والانتقام لا بد أن تتضخم عند منتسبها الذات، على حساب الفكرة الثورية، ويستحيل عليها أن تستعيد التوازن بين المكونات السياسية والثقافية والأخلاقية للثورة في صلتها بالمكون الدخيل» المتمثل في العنف والعنوان لأن هذا الأخير لا يلبث أن يعيد بناء المكونات كلها لصالحه وبشرطه، بحيث يصبح تمجيد القوة والعنف شرطاً ضرورياً للانتشاء الثوري.. وفي هذا السياق تصبح القوة والمغامرة والعنف هي الصفات المقبولة ثورياً، ويغدو اصحابها هم الثوريون، ويسجل التاريخ أريخ حالات مشابهة كثيرة، ويهمن أن نستدل منها بما أسفر عنه العنف من نتائج كارثية على مسار هذه الثورات فيما بعد وعلاقة النخب الثورية ببعضها، وكيف أن هذه النخب استسلمت جميعاً للقرار المغامر ما تمخض عنه من تصفيات «ثورية» واختزال الجميع في «واحد»..

وفي توصيف الدكتور ياسين ما يغني عن الإسهاب وكح تمنى على محمد قطحان أن يتأمله وأن يعقله حتى لا تأخذه مشاعره الثورية إلى العنف النفسي والأخلاقي وأن يترجل.. فالثورة الفعالة قادمة ولا متاصل له منها.

مسكوتاً عنه اليوم، فجمعة الكرامة حمل النظام تبعاتها ولكنه حتى اللحظة لم يذن بأدلة مادية دامغة بل دلت مجموعة الوقائع والاستدلالات أنه برين منها، فتتعطل إجراءات التحقيق والمحكمة وفق التداولات الإعلامية كان من طرف واحد وكانت تعليلاته تضليلية أكثر منها بحثاً عن العدالة، فالازدواج الظاهر في التفاعل مع حمامات الدم بين جمعة الكرامة، وحي النهضة، وحادثة بنك الدم، والحصبة، وفرضه نهم، وأرحب، لا يتصل بالتناقض أكثر مما يتصل بالحرص على استمرار الرسالة المشبعة بالرموز والقرائن، وهو الأمر الذي يجعلنا نذهب إلى القول إن جمعة الكرامة» لم تكن إلا تفاعلاً مع حدث تاريخي متداول في الذاكرة الجمعية، أعيد إنتاجه بهدف الوصول إلى السلطة، ولم يكن للدم أي حرمة دينية أو إنسانية بدليل أن أنهاراً من الدم انتفت قرائنها ورموزها لم يدهنها المنطق الثوري ولم يتفاعل معها، مثال ذلك حادث حي النهضة الذي أودى بحياة (٥٣) شاباً وحادثة بنك الدم الذي ذهب ضحيته (١٧) شاباً وغير ذلك من الأحداث التي تعامل معها المنطق الثوري بازدواج ظاهر في شلال إيحاءاته المتناثرة وهو ازدواج لا يتصل بالتناقض كما أسلفنا- بل بالحرص على بحث رسالة مشبعة بالرموز والقرائن ولا يسع متلقيها- أي تلك الرسالة- إلا ترتيبها وفق نسقها المنطقي ليدرر حينها غاياتها ومقاصدها، وإذا استسلم لمضامينها كما هي فإنه يقع في الوهم ولن يصل إلى حقيقة الغايات ولا جوهرها.

فإذا كانت القضية قضية دم حرام سفك، كقضية دينية وقضية إنسانية مجردة عن الغايات والمقاصد الأخرى فقد يصعب الازدواج حينها غير مبرر أخلاقياً وديناً وإنسانياً، إذ أن كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه، فالذين استباحوا دم الجنود على فرضه نهم، وفي أرب، وفي تعز، والحصبة ثم بعد ذلك في آبين وفي دوفس، واستنفروا الناس في دماج، لذات الغاية، إنما يسعون إلى هدم المنظومة العقائدية والقيمية للدين، ويملاون الفراغات بمبررات وقيم نقيضة، فدينهم لم يكن إلا شكلاً خالياً من المضامين، وثورتهم لم تكن إلا تماهياً مع تاريخ يحاولون إعادة إنتاجه، فلم يكن حظ الصورة الثورية إلا التطابق مع الماضي التاريخي، ولا قيمة أو معنى لها إلا في صيغة التكرار واجترار ذات القيم المستبدة والانتهازية والمتفردة.. فلطغان قديم في جلباب ثوري.

فجدلية الصراع تخلق لنفسها منظومة ثقافية بديلة، وبها ومن خلالها يحدث الالتباس، وعلى ذلك دلت شواهد التاريخ من دم عثمان مطية للوصول إلى نقطة الانحراف في المسار في زمن معاوية.

فالدین ليس انتقائياً يحرم في جمعة الكرامة).. يجعلنا أمام اشكالية تاريخية تبدأ من خلال تداول الخبر أو الحدث التاريخي ثم إعادة إنتاجه في وسط ثقافي مماثل، فدم عثمان رضي الله عنه هو الاشكالية ذاتها التي تلتقي مع «جمعة الكرامة» وتتقاطع، فالدم في الحالىن لا يبعد عن كونه مطية للوصول إلى السلطة، وما كان مسكوتاً عنه في الأمس التاريخي سيكون

ولم نستب من فتوى القرضاوي علل الخروج ولا مقاصد ذلك الدم الذي يسفك ولم نسمع إلا كلاماً إنشائياً خالياً من التبرير الشرعي والتبرير المنطقي، وهو الأمر الذي يجعلنا نسبح في فلك التيه، ونودر في أبراج الوهم التي وصلنا إليها بحكم التضخم الذي أصاب الشخصية المحورية في هذا الربيع العربي، إذ أخذتها العزة بالوهم فررفت فوق واقعها ولم تدرك حقيقة واقعها أو جوهره وموقعها منه.

لقد نشأ- على إثر حالة التماهي مع الغليان الثوري- نوع من التضاد الذي يزداد عمقاً كلما استمرت حالة الالتباس وسوء الفهم، فالشخص المحوري- رمز ديني أو سياسي- يمارس ازدواجاً ظاهرياً في شلال إيحاءاته المتناثرة، لكن ذلك الازدواج لا يتصل بالتناقض أكثر مما يتصل بالحرص على بعث رسالة مشبعة بالرموز والقرائن، فإذا تمكن المتلقي من تضبيدها على نحو سليم، فإنه بالضرورة سوف يفهم مقاصدها..

فالمناطق الثوري في الحالة اليمنية مثلاً رقف من «جمعة الكرامة» في ١٨ مارس ٢٠١١م موقف الباكي والمتالم وموقف المسفوك دمه والمصادرة حقوقه، مشعباً فعله بالرموز الإنسانية والقرائن السلطوية والاستبدادية، مستفيداً من وسائل الاتصال التي تعتبر وسائل التفاعل الأساسية بين الأفراد والجماعات للتحكم بالأنظمة المادية والرمزية التي تتعامل فيما بينها من خلالهما، فكانت رسالة ذلك الحدث الدماهي إحداه صدمة نفسية وأخلاقية تداعت على إثرها جدران النظام، إذ استقال عدد من الوزراء وانضمت فئات اجتماعية فاعلة إلى حركة الاحتجاجات وانشق فصيل من الجيش اليمني، وضعف موقف النظام السياسي أمام المجتمع الدولي، وخرجت بعثات دبلوماسية من جادة الصواب لتقدم بلدها بصورة أكثر قبحاً وأكثر وحشية، وما يزال النظام حتى لحظة كتابة هذه الأسطر بريئاً وممثل هذا العدد أو أكثر من الجرحى؟

التقديرات المنطقية تقول إنهم يحتاجون إلى أكثر من سبع دقائق، فبالله كيف استمروا طوال هذه الفترة ينالون من فراسخهم؟ والساحة تعج بالجنود والمسلحين؛ ودون أن يتم تبادل لإطلاق النار معهم وإصابة أي منهم؛ وكيف تمكنوا بسهولة من الفرار بعد هذه المدة؟ ولماذا لم تتمكن كاميرا «سهيل» و«الجزيرة» و«البي بي سي» و«العربية» و«الحررة» وغيرها من تصوير المشهد؟

المسألة تحتاج إلى قراءة أكثر موضوعية ومنهجية، وتحتاج إلى صحوه ضمير من الداخل والساحات حتى لا تضع هدراً أرواح الشهداء وما يؤمهم الطاهرة..

نطالب بسرعة إعلان نتائج التحقيق ومعرفة الحقيقة التي ما يزال يلغها الغموض وتُنسج حولها الأساطير، وحتى لا تظل هذه القضية في مربع الاستمثار السياسي الرخيص ووسيلة للتصعيد والمناورة السياسية على

